مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

العدد الرابع والعشرون

1375 من وفاة الرسول ﷺ الموافق لعام 2007 مسيحي

تصدر عن
كلية الدعوة الإسلامية
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

الأُمّة

د. خليفة محمّد بديري
جَامعَة الفاتح

كلمة «أمة» أنثى كلمة «عبد» حيث إنّ الأخيرة لا مؤنّث لها من لفظها ـ على المشهور[1].

ونعرض لتلك الكلمة من كلا جانبيها اللفظ والمعنى بما يقتضيه المقام من اختصار.

أولاً: جانب اللفظ، أصل مادتها حروف ثلاثة: الهمزة والميم والواو؛ حذفت واوها وعوّضت عتها تاء التأنيث[2] وقد وردت مرتين في القرآن الكريم،

(1) انظر كتاب تهذيب الألفاظ، لابن السّكيت، بعناية لويس شخيو (المطبعة الكاثوليلكية بيروت 1895 ص477.

(2) من مسلّمات علم الصّرف أن أغلب كلمات العربية ثلاثية الأصول، لا تقلّ عن ذلك، واصطلح على تسمية الحرف الأول بفاء الكلمة، والحرف الثاني بعين الكلمة، والحرف الثالث بلام الكلمة، واتخذوا من ذلك ما يعرف بالميزان الصرفيّ لضبط ما يعرض لبنية الكلمة من تغيير، وفلّما انتهى اسم بالواو فإن كان تُصُرِّف فيه باحذف أو بالقلب أو ما إلى ذلك مما هو مفصّل في كتب علم الصرف.

أولاهما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ . . .﴾[3].

وثانيهما: في قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ . . .﴾[4].

وأصل أمة عند سيبويه أَمَوَة على وزن فَعَلَة، ونظيرها من الصحيح أَكَمَة، دليله أنّها جمعت آمٍ بوزن أفعُل كما جمعت أكمة عليآكمُ[5]، وهي الرابية.

ولم نلحق بجمع المذكر فلم يقولوا فيها: إمون كما قالوا في نحو: سنة: سنون، لاستتعنانهم بآمٍ عن ذلك[6].

ثانياً: جانب المعنى، قال صاحب العين: الأمة خلاف الحرّة وهي المرأة ذات العبودة والعبوديّة، وقد أقرّت بالأموّة وتقول أمّيتُ أمةً، أي: اتخذت أمةً، وتأمّيت واستأميت كذلك، قال رؤبة بن العجّاج: (رجز)

ما الناس إلاّ كثمام الثّم
يرضون بالتّعبيد والتّأمّي
لنا إذا ما خندق المسمّي[7]

قال التبريزي «. . يقول النّاس لنا كالثمامِ لا يمتنع علينا ما نريده منهم

---

(3) سورة البقرة، الآية: 221.

(4) سورة النور، الأية 32.

(5) انظر كتاب سيبويه، طبعة بولاق ط2، ص191، ونصه «وقالوا: أمةٌ وآم وإماء، فهي بمنزلة أكمة وآكم وإكما، وإنما جعلناها فَعَلَةً، لأنّا قد رأيناهم كسّروا فَعَلَةً على أفعُلٍ ممّا يحذف منه شيء، ولم نرهم كسّروا فَعْلَةً ممّا لم يحذف منه شيء على أفْعُلٍ. .».

(6) المصدر نفسه والصفحة ذاتها.

(7) كتاب العين، طبعة دار إحياء التراث العربي، بلا تاريخ، صفحة 37 وتكملة أبيات رواية من المصدر الآتي.

ولا يقدرون على دفعنا عما نحاول منه، يرضون، أن يكونوا لنا عبيد وإماء إذا ما انتسبنا إلى خندق»[8].

ولا مناص من تناول معنى مادة عبد، لأجل الإحاطة بمعنى أمة، إذ تقرر أنه مذكر لا مؤنث له من لفظه، بل من معناه وهو الأمة[9].

جاء في العين أنّه يطلق العبدُ على الإنسان حراً كان أو رقيقاً ويقال: خدم العبد مولاه، ولا يقال عبده، إذ العبادة خاصّة بالله تعالى. واستعبد فلان فلاناً، أي اتخذه عبداً[10].

وقالوا رق عبد الشهوة أول من عبد الرّق[11]

وجدير بالذكر أن كلة «أمة» تناولتها دائرة المعارفة الإسلامية تعقبها الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله بقوله: «جاء في دائرة المعارف الإسلامية عن كلمة أمة إنّها دخلت لغة العرب في زمن متقدم بعض الشيء ثم قال ـ أي مؤلف المادة ـ ومهما يكن من شيء فإنّ محمداً أخذ هذه الكلمة واستعملها وصارت منذ ذلك الحين لفظاً إسلامياً أصيلاً»، وأبان الشيخ شاكراً أنها دعوة عريضة دأب عليها المستشرقون كلما ألفوا كلمة عربية تقابلها كلمة من أخرى بمعناها وتوافقها في حرفين أو أكثر ولو بتقارب مخارج الحروف أو الشيء قليل أو كثير من التصحيف، ادّعوا أنها دخلية على العربية وأن العربية إنما استعارتها من العبريّة

(8) هامش رقم 3، ص477، من كتاب تهذيب الألفاظ، لابن السّكّيب وحذف اسم ليلى القضاعّية، أطلق عليها حين قال لزوجها إلياس بن مضر «ما زلت أخندق في أثركم» أي أهرول، فقال لها: خِنْدِق، فصار لها اسما. انظر في هذا كتاب العين، ص270.

(9) قال صاحب العين في مادة عبد: «. . . ولم اسمعهم يشتقّون منه فعلاً ولو اشتق لقيل: عَبُدَ، أي صار عبداً ولكنه أميت منه الفعل» ص592.

(10) المصدر السابق والصفحة ذاتها، وانظر مفردات الراغب الاصفهاني، غ. نديم مرعشلي (دار الكتاب العربي 1392/ 1972 ص330 ـ 331.

(11) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي، غ. عبد السلام التونجي (طبعة جمعية الدعوة الإسلامية) جـ1، ص631.

أو الآرامية، ثم فنّد تلك الشبهة[12]، وتتمة لما هدف إليه أقول، إن كلمة أمة وجموعها كانت متداولة منذ العصر الجاهلي ولو قد جمعت شواهدها لكان منها مجلّداً أو أكثر، يكفي لتقرير هذه الحقيقة بضعة منها ـ قال أوس بن حجر (كامل)

أبنى لبيني لست معترفاً لـيكون ألأَمَ منكمُ أحدُ
أبني لبيني إنّ أمّكمُ أمةٌ وإنّ أباكمُ عبدُ[13]

ـ وقال طرفة بن العبد، (طويل)

فظلّ الإماء يمتلك حُوَارَها ويُسعى علينا السّديف المرهد[14]

يقول: إنه نحر ناقة سمينة كانت لقحة شوق الإماء جنيتها ووزعن عليهم أطيب لحمها وهو لحم سنامها.

ـ وقال الحارث بن حلّزة اليشكري: (خفيف)

ثم مللنا على تميم فأحرمنا وفينا نبات مرّ إماءُ[15]

يقول: إنهم كفّوا عن القتال بدخولهم في الأشتهر الحرم وكانوا قد اتخذوا بنات مرّ سبايا قبل ذلك.

ـ وقال القتال الكلابي: (بسيط)

---

(12) كتاب جمهرة مقالات أحمد محمد شاكر، جمع وإعداد وعناية عبد الرحمن بن عبد العزيز القعل، ط1، جـ1 (دار الرياض بالقارهة 1426هـ/ 2005م) ص757 هذا وقد أحال إلى موضع المادة في داترة المعارف، وهو: جـ2، ص632.

(13) انظر لسان العرب، لابن منظور، مادة (ع ب د).

(14) من معلقته، ومطلعها:
لخولة اطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
انظر شرح القصائد السّبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، غ. عبد السلام هارون (سلسلة ذهائر العرب رقم 35) ط2 (دار المعارف بمصر 1969) ص222.

(15) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات للأنباري، ص472.

أمّـا الإمـاء فـلا يـدعـونـنـي ولـدا إذا تـرامى بـنـو الأمـوات بـالـعـار

يـا قـاتـل الله صـبـيـانـا تـجـيُ بـهـم أم الـهـنـيـبـر مـن زَنـدٍ لـهـا وار

قال التبريزي: «يقول إنه ليس بهجين ولدته أمة، يقول أنا ابن عربيتن، فإذا تتساب أولاد الإماء بأمهاتهم لم يذكروني لأنه لم تلدني أمة»[16].

وقد ذكرنا آنفاً أنها جمعت على آمٍ، وشاهده قول السليك: (بسيط).

يـا صـاحـبـي الالاحـيّ بـالـوادي إلاّ عـبـيـد وآمٍ بـيـن أذواد[17]

وينبغي لي أنه أنوّه، بما كان للإسلام من دور في القضاء على الرّق، فقد جاء في القرن السابع الميلادي والرق قوام حياة العالم الاجتماعية والاقتصادية، وهو متفش بين العرب فبادر قبل أن تقوم على دولة بالدعوة إلى تحرير الرقيق

قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[18]

وحين قامت دولته كان أعداؤه إذا أسروا بعض المسلمين استرقوهم فاقتضى مبدأ المعاملة بالمثل أن يسترق المسلمون من يأسرونه من أعدائهم مع فارق كبير جداً في أسلوب التعامل وليس من المبالغة في شيء القول بإنه «لم تفعل شريعة ولا نظام ولا قانون ما فعله الإسلام في ردّ الاعتبار الإنساني والاجتماعي إلى الرقيق»[19].

حرص على انتزاع فكرة الاستعلاء والتجبر من نفوس مالكي الرقيق من أتباعه وحضّهم على مجالستهم ومؤاكلتهم وإيمانتهم إذا كلفوا ما لا طاقة لهم به ومراعاة شعورهم والإنه القول لهم وحط عن الرقيق نصف العقوبة المقررة على

---

(16) كتاب التهذيب لابن السكيت، ص477.

(17) لسان العرب، لابن منظور، مادة (أماً) وكان ينبغي أن توضع في مادة (أ م و).

(18) سورة البلد، الآيات: 11 ـ 13.

(19) مادة «الرق» في الموسوعة العربية العالمية ط2، ج11 دار الرياض ص257 ـ 292 1419هـ/ 1999م.

الأحرار، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾[20].

ويتخلص منهج الإسلام في علاجه لقضية الرقيق في خطوات ثلاث:

أولاها، حصر مصادر الرّق في أضيق نطاق مقصرة على أسر الأعداء الكافرين المحاربين وسبهم؛ معاملة لهم بالمثل.

ثانيتها: فرض أنماط من العلاقات الإنسانية المهذبة وإعطاؤهم حقوقاً لم تكن لهم من قبل أساسها المساواة في الإنسانية وأنه لا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[21].

الثالثة: فتح أبواب تحرير الرقيق على مصاريعها بالعتق في الكفّارات أو على سبيل القربة «ولعل من أروع ما وصل إليه حال الرقيق في الإسلام ما ذكر من أن الخليفة عمر بن الخطاب كان يتبادل ركوب الناقة بالتساوي بينه وبين عبده أثناء سفره من المدينة إلى بيت المقدس ليعقد مع صاحبها معاهدة الصلح، فلما وصل كان العيد هو الرّاكب، وأمير المؤمنين هو الماشي، فخنشي أبو عبيدة ـ قائد الجيش في الشام ـ أن يحتقر المستقبلون أمير المؤمنين عمر، فكشف له عمّا في نفسه ممّا يأيف منه أهل البلاد، ورغب إبيه أن ينزل العبد ليجرّ الناقة وهو راكبً عليها، فأبى الخليفة هذا، وقال: «ليت غيرك قالها يا أبا عبيدة نحن قوم أغرنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزّة في غيره أذلنا الله.

وعمر بن الخطاب هو الذي قال لعامله على مصر، عمر بن العاص: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتم أحرارً؟!»[22]

---

(20) سورة النساء، الآية: 25.

(21) سورة الحجرات، الآية 13.

(22) مادة «الرق» في الموسوعة العربية العالمية، ص260. وانظر أيضاً مادة «ملك اليمين» من المرجع نفسه، جـ24، من ص118 ـ 120.

هذا ومعتمد هذه الفقرة الموسوعة المذكورة، فما ليس ليس بالنص هو بالتصرّف.